

تفسير البحر المحيط

@ 491 % (واستعجلونا وكانوا من صابتنا % .

كما تعجل فراط لوراد .

%) .

ومنه (أنا فرطكم على الحوض) أي متقدمكم . وقال ابن جبير ، ومجاهد ، وابن أبي هند :
مفرطون مخلفون متروكون في النار من أفرط فلاناً خلفى إذا خلفته ونسيته . قال أبو
البقاء : تقول العرب أفرط منهم ناساً أي خلفتهم ونسيته . وقرأ أبو جعفر : مفرطون
مشدداً من فرط أي : مقصرون مضيعون . وعنه أيضاً : فتح الرء وشدها أي ، مقدمون من
فرطته المعدى بالتضعيف من فرط بمعنى : تقدم . ثم أخبر تعالى بإرسال الرسل إلى أمم من
قبل أممك ، مقسماً على ذلك ومؤكداً بالقسم وبقد التي تقتضي تحقيق الأمر على سبيل
التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم) لما كان يناله بسبب جهالات قومه ونسبتهم إلى الله ما
لا يجوز ، فزين لهم الشيطان أعمالهم من تماديهم على الكفر ، فهو وليهم اليوم حكاية حال
ماضية أي : لا ناصر لهم في حياتهم إلا هو ، أو عبر باليوم عن وقت الإرسال ومحاورة الرسل
لهم ، أو حكاية حال آتية وهي يوم القيامة . وأل في اليوم للعهد ، وهو اليوم المشهود ،
فهو وليهم في ذلك اليوم أي : قرينهم وبئس القرين . والظاهر عود الضمير في وليهم إلى
أمم . وقال الزمخشري : ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش ، وأنه زين للكفار قبلهم
أعمالهم ، فهو ولي هؤلاء لأنهم منهم . ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي : فهو ولي
أمثالهم اليوم انتهى . وهذا فيه بعد ، لاختلاف الضمائر من غير ضرورة تدعو إلى ذلك ، ولا
إلى حذف المضاف . واللام في لتبين لام التعليل ، والكتاب القرآن ، والذي اختلفوا فيه من
الشرك والتوحيد والجبر والقدر وإثبات المعاد ونفيه ، وغير ذلك مما يعتقدون من الأحكام :
كتحريم البحيرة ، وتحليل الميتة والدم ، وغير ذلك من الأحكام . وهدي ورحمة في موضع نصب
على أنهما مفعول من أجله ، وانتصباً لاتحاد الفاعل في الفعل وفيهما ، لأن المنزل هو الله
وهو الهادي والراحم . ودخلت اللام في لتبين لاختلاف الفاعل ، لأن المنزل هو الله ، والتبيين
مسند للمخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم) . وقول الزمخشري : معطوف محل لتبين ليس
بصحيح ، لأن محل ليس نصباً فيعطى منصوب عليه . ألا ترى أنه لو نصبه لم يجر لاختلاف
الفاعل ؟ . .

والله أنزل من السماء ماء قال أبو عبد الله الرازي : المقصود من القرآن أربعة : الإلهيات ،
والنبوات ، والمعاد ، والقدر ، والأعظم منها الإلهيات فابتدأ في ذكر دلائلها بالأجرام

الفلكية ، ثم بالإنسان ثم بالحيوان ، ثم بالنبات ثم بأحوال البحر والأرض ، ثم عاد إلى تقدير الإلهيات فبدأ بذكر الفلكيات انتهى ملخصاً . وقال ابن عطية : لما أمره بتبيين ما اختلف فيه قص العبر المؤدية إلى بيان أمر الربوبية ، فبدأ بنعمة المطر التي هي أبين العبر ، وهي ملاك الحياة ، وهي في غاية الظهور ، ولا يختلف فيها عاقل انتهى . ونقول : لما ذكر إنزال الكتاب للتبيين كان القرآن حياة الأرواح وشفاء لما في الصدور من علل العقائد ، ولذلك ختم بقوله : لقوم يؤمنون أي : يصدقون . والتصديق محله القلب ، فكذا إنزال المطر الذي هو حياة الأجسام وسبب لبقاتها . ثم أشار بإحياء الأرض بعد موتها إلى إحياء القلوب بالقرآن ، كما قال تعالى : { أَوَلَمْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ } فكما تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها ، كذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتاً بالجهل . وكذلك ختم بقوله : يسمعون هذا التشبيه المشار إليه ، والمعنى : سماع إنصاف وتدبر ، ولملاحظة هذا المعنى وإفهامه لم يختم بلقوم يبصرون ، وإن كان إنزال المطر مما يبصر ويشاهد . وقال ابن عطية : وقوله يسمعون ، يدل على ظهور هذا المعتبر فيه وتبينه ، لأنه لا يحتاج إلى نظر ولا تفكر ، وإنما يحتاج البتة إلى أن يسمع القول فقط . . { وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّيِّنًا فَالْصَّالِحِينَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لِّلشَّارِّينَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لِّلشَّارِّينَ * }